



### صوت الجنوب 2007-04-07 / عبدالمقوي الماشول

وأنت تصافح القمة.. تستعيد تعب الطريق، لا بل تستعيد تلك المعركة التي لم تنته مع صخور الوادي وحواضه المسيجة بارتفاعات الجبال المشاهقة وسلسلتها العنيدة ذات الملون الواحد.. الصخور التي منها يستمدون مكونات لوحاتهم المعمارية أو هي ناطحات السحاب الحجرية. (العسكرية) النقطة التي تقودك طريقها إلى جوف الجبال والمشعاب والمرتفعات.. حيث تطالعك أسرار وعجائب كثيرة.



عقب رائحة أزهار البن في وهاد يهر وحواض (وادي ضيك) على ما في جنبات الوادي من شح الطبيعة إذ لا تتعدى المساحات المزروعة حجم ما هو متاح من الأرض أو ما بقي على (مدارب) السيل الجارف الذي يشق طريقه أو يأخذ سبيله إلى المنحدرات. واحات في أكناف الجبل بعطر البن بجمال عناقيده التي تبدو كشذرات المذهب قبل أن تتحول إلى الأحمر القاني عند المنذوج. واحات مخملية تخفي ما في الصخر من قسوة وما في البشر من عزيمة وقدرة حين يحاورون صلادة الصخر الأصم وترسم أناملهم على أرجاء الأودية الضيقة تلك المقصور العالية بملامح تراشية قلما تجد من يحيد عنها وهي صفة تحسب

لهؤلاء القوم. الطريق إلى القمة لابد أن يمر بوادي (يهر) أو ما ترك المسيل في جوانبه من شطائر الأرض.. تتدرج بعدئذ في الارتفاع بين وادي (الشجي) و(سلفه) وهذه الأخيرة أكثر ما تعرف أرضها بوفرة محصول البن. و(المهر) ونقيل (المخلا) الذي تشرف من شرفته العتيدة على جبل (الميزيدي) وسوق (لبعوس) ومنازل (آل صلاح) المنيفة بكل ما عرف عن هؤلاء من توارث عجيب لفن المعمار المنسوبة صنعته إليهم منذ القدم.

(لبعوس) كانت الطريق إليها قبل حين شاقة للغاية لكنها في الآونة الأخيرة حظيت بقدر من طريق أسفلتي فرعي يمتد من (العسكرية) وصولاً إلى (لبعوس). ومع ما وفر هذا البساط الأفعواني الأسفلتي من التعب والمشقة التي كان يكابدها الأهالي.. إلما إنه لم يبلغ صفة التعب ذاهيك عن أخطاره المقاتلة نظراً لتلك المولادة المتعسرة التي لازمت تنفيذه.. ما جعله يحتل موقع المصدارة من حيث المضيق والخطورة وإيالك وأنت تقود سيارتك عبره أن يذهب منك التركيز طرفة عين.. ولما أدري لماذا تم اعتماد مثل هذا الطريق الفرعي الذي يقود في نهاية المطاف إلى مدينة لبعوس الواسعة وأجزاء يافع الكبيرة من حيث عدد السكان.

ثم أن مدينة حضرية مثل (لبعوس) ينبغي لها أن تحظى بمشروع طريق عصرية ذاهيك عن ضرورة التخطيط الحضري لتوسعها المعماري الرأسى والأفقي وأهمية أن تحظى بمشروعات خدمية.. كالمجاري التي تعد مهمة لنظافة البيئة وكذا المياه والكهرباء والخدمات الصحية والتعليمية.

فكم أدهشتني صورة الأكف المتفرعة إلى مزن السماء في تلك المرتفعات، أما عندما يكون المطر فإنك تجد تلك الأكف الرقيقة بما فيها أكف النساء ممن يعنين بحفظ غيث السماء في كنف خزانات أعدت بعناية لهذه الغاية فبعد أن تتلقف سطوح منازلهم هطل المزن تسري جداوله الصغيرة إلى تلك الخزانات التي هي جزء من مكونات قلاعهم الحصينة.. صورة المطر الذي تتكشف أثره أعجب ذاطحات السحاب الحجرية في يافع أما أعجبها وأكثرها ارتفاعاً فتلك التي تعود لدير (آل بن صلاح) رواد فن المعمار في يافع.. فهي بحسب قول الشاعر:

منازلها وكور النسر تهوى فوقها النجمة وتلثمها لتتركها على أوتارنا نغمة

## ذراً بالعين ترشفها وتدعو للثمة الملثمة ذراً ككتابع الألمان في إلياذة ضخمة



فما أعجب هؤلاء القوم وأشدّهم.. دروب هجرتهم لم تنقطع وحنين الشوق للديار المنيفة  
التي ترضع الغيوم عند كل مساء.. دروب تبدو قدراً قسرياً لا فكاك منه عند هؤلاء..

فمن أصقاع الأرض يشدهم الشوق إلى يافع لهوائها العليل ومائها المنير الممزوج بعرق  
أكف المزوجات والأمهات والأخوات في سروهن العريق.

فحقاً من نتوءات الصخور الصلدة تنبجس أكمال الزهر وتتفجر ينابيع الماء بل وينبثق  
الرجال.

فكم أنت غنية أيتها الأرض وكم جدت أيتها الأمهات بثمار الرجال.. يافع ليس للوصف  
نهاية.. فجنابات الوادي والجبل مازالت تحكي أسطورة عشق الأرض.. وكفاح الإنسان فهناك  
على قمم (الميزيدي والجبل لعللي ديار آل حمزة والحد) مازالت حكاية جبل يافع بها من  
الغنى والتنوع.. الكثير.

فسلاماً لك أيتها الديار العامرة بالحياة المشرقة بالأمل والعطاء والصبر وإعجاز ما  
تصنعه المهم.

## عن الدائم